جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المحاضرة الرابعة **سيميوطيقا شارل ساندرس بورس**

1- تعريفات اصطلاحية للسيميائية:

إنّ أوسع التعريفات **للسميائية** قول **أمبرتو إيكو**: " تعنى السميائية بكلّ ما يمكن اعتباره إشارة ". تتضمن السيميائية ليس فقط ما نسميه في الخطاب اليومي " إشارات "، لكن أيضا كلّ ما "ينوب عن" شئ آخر. من منظور سيميائي، تأخذ الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات وإيماءات وأشياء. ولا يدرس السميائيون المعاصرون الإشارات مفردة، لكن كجزء من " منظومات إشارات " (مثال ذلك: وسيلة اتصال أو صنف).

يدرسون كيفية صناعة المعنى وتمثيل الواقع.

إنّ التقليدين الأساسيين في السميائية المعاصرة مصدرهما على التوالي الألسني السويسري **فردينان دوسوسور Ferdinand de saussure (1857- 1913)**، والفيلسوف الأمريكي **تشارلز ساندرز بيرس Charles Sanders Pierce (1839- 1914)**. ويرجع وضع سوسور مصطلح " **سيميولوجيا** " **Sémiologie** إلى مخطوطة كتبها في عام 1894.وجاء في مقرّر في **الألسنية العامة Linguistique genérale لسوسور**، الذي نشر في العام 1916 بعد موته، الآتي:

من الممكن... ابتكار علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية. ويكون جزءا منها من علم النفس الاجتماعي، وبذلك من علم النفس العام. ونرى تسميته السيميولوجيا(من الكلمة اليونانية **Semeion**، أي" إشارة "). وهو يدرس طبيعة **الإشارات** والقوانين التي تحكمها. وبما أنّ

هذا العلم لا يوجد بعد، لا يمكن الجزم بأنّه سيوجد. يوجد له سلفا مكان. وما الألسنية إلا فرع من فروع هذا العلم العام. وتكون القوانين التي تكتشفها السيميولوجيا قوانين تطبّق في الألسنية، فيكون، بذلك، للألسنية مكانها المحدّد والواضح في حقل المعرفة البشرية.

بالنسبة إلى سوسور،" السيميولوجيا" هي " علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية"، أمّا بالنسبة إلى الفيلسوف **تشارلز بيرس** فحقل الدراسة الذي يسميه " السميائية " هو " الدستور الشكلاني للإشارات، ممّا يقرّبها من المنطق. كان بيرس يعمل بعيدا عن سوسير، على الجهة الأخرى من الأطلسي، فاستعار مصطلحاته من **جون لوك John Locke** ، وكتب الآتي:

إنّ المنطق، بالمعنى الواسع للكلمة... تسمية أخرى للسيمياء Sémeiotiké، الدستور شبه الضروري والشكلاني للإشارات. وعندما أصف الدستور بأنّه " شبه ضروري " أو شكلاني، أعني أنّنا نطلّع على سمات الإشارات أثناء اكتساب المعرفة... وتقودنا سيرورة لا اعترض على اعتبارها تجريدا، إلى طروحات تتميّز بأنّها تحتمل الخطأ، وهي لذلك، بمعنى من المعاني، غير ضرورية ابدا من ناحية ما يجب أن تكون عليه سمات كلّ الإشارات التي يستخدمها عقل " علمي "، أي عقل يستطيع أن يتعلّم بوساطة التجربة.

من الشائع اعتبار بيرس وسوسور معا مؤسسي ما يطلق عليه عامة السيميائية. لقد أسّسا لتقليدين كبيرين. ويستعمل أحيانا مصطلح " السيميولوجيا للإشارة إلى التقليد السوسوري. بينما تشير" السيميائية " إلى التقليد البيرسي. لكن من الشائع في ايامنا استعمال " السيميائية " كمصطلح عام يشمل كلّ الحقل المدروس.

لا تمتلك السميائية مسلّمات نظرية أو نماذج أو منهجيات تطبيقية يقوم حولها إجماع واسع. لاتزال السيميائية نظرية غلى حدّ بعيد، يسعى كثيرون من منظريها إلى تحديد مبادئها ومجالاتها. وعلى سبيل المثال: انصب اهتمام بيرس وسوسور على التعريف الأساسي للإشارة. طوّر بيرس صنافات منطقية مفصّلة لأنماط الإشارات.

وعمل السميائيون بعده على تعريف الشيفرات والاصطلاحات التي تنظّم الإشارات، وعلى تصنيفها. أمّا بالنسبة للمنهجيات، فلقد شكّلت نظريات سوسور نقطة انطلاق لتطوير مناهج بنيوية متنوعة تحلّل النصوص والممارسات الاجتماعية.

يرى **رومان جاكوبسون** أنّ السيميائية " تتناول المبادئ العامة التي تقوم عليها بنية الإشارات أيّا كانت، كما تتناول سمات استخدامها في مرسلات وخصائص المنظومات المتنوعة للإشارة ومختلف المرسلات التي تستخدم أنواع الإشارات".. ولقد استخدمت المنهجيات البنيوية على شكل واسع في تحليل الكثير من الظواهر الثقافية، لكنّها لا تحظى بقبول عالميّ: ينتقد المنظّرون ذوو التوجّه الاجتماعي اقتصار تركيزها على البنية، علما أنّه ليس هناك منهجيّات أخرى تمّ تبنيها على نحو واسع.

ويتضمن من يرتبطون بالسيميائية الألسنيين والفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الإناسة ومنظّري الأدب والجمال والإعلام والمحللين النفسيين والتربويين.

2-العلاقة مع الألسنية

أسّس الألسنية البنيوية سوسور **وهيلمسليف Hjelmslev وجاكوبسون**. وهذا الأخير هو أوّل من استخدم مصطلح " البنيوية " في العام 1929. والبنيوية منهجية تحليل تقتضي تطبيق النموذج الألسني على مجموعة أوسع من الظواهر الاجتماعية.

كتب **جاكوبسون** الآتي:

" اللغة منظومة سميائية خالصة، لكن.. يجب أن تأخذ دراسة الإشارات بعين الاعتبار البنى السيميائية التطبيقية، كأسلوب البناء واللباس والطّهي... كلّ بناء هو في الوقت نفسه نوع من الملجأ ومن المرسلة. كذلك كلّ لباس يلبي بالتأكيد متطلّبات نفعية، وتظهر فيه في الوقت عينه خصائص سيميائية متنوعة. ويحدّد جاكوبسون " الوظائف الأساسية للغة "، ويعتبر أنّ تحديده هذا يجب أن يؤدي إلى دراسة المنظومات السيميائية الأخرى بطريقة مماثلة "، فالبنيوية منهج تحليلي يدخل فيه تطبيق النموذج الألسني على أنواع كثيرة من الظواهر الاجتماعية. يبحث

البنيويون عن " التراكيب " العميقة " الكامنة وراء " السّمات السطحية " في منظومات الإشارات: بحث عنها **ليفي ستراوس Lévi – Straus** في الأسطورة وقواعد القرابة والطوطمية، و**لاكان Lacan** في اللاوعي، **وبارت Barthes** و**غريماس Greimas** في " قواعد " السرد.

وتعلن **جوليا كريستيفا Julia Kristiva** أنّ "السيميائية اكتشفت أنّ القيد الأساسي الذي يؤثّر في أي ممارسة اجتماعية يكمن في أنّه يحمل دلالة، أي أنّه يتمفصل كلغة".

حاول سوسور أن يبرهن أنّ لا شئ أفضل من دراسة اللغات لإظهار طبيعة المسألة السيميولوجية. وكثيرا ما تلجأ السيميائية إلى المفاهيم الألسنية، بسبب تأثير سوسور، ولأنّ الألسنية فرع أكثر رسوخا من الفروع الأخرى التي تدرس منظومات الإشارة. يقول سوسور إنّ اللغة (ويقصد لغة النطق) هي " أهم منظومات الإشارات ".

وينحو الكثير من المنظرين إلى أنّ اللغة أساسيّة:

يؤكّد جاكوبسون أنّ اللغة مركزيّة، فهي أهم المنظومات السيميائية البشرية.

يقول **بينفينيست Benveniste** إنّ "اللغة منظومة تفسيرية تستطيع أن تؤدي المعاني التي تؤدّيها جميع المنظومات الأخرى، اللسانية وغير اللسانية ".

بينما يلاحظ **ستراوس** أنّ " لغة النطق هي المنظومة السيميائية بامتياز، لا يمكنها إلا أن تؤدي معنى وتوجد فقط بوساطة الدلالة ".

ويجمع الكلّ تقريبا على اعتبار أنّ اللغة المنطوقة هي، إلى حدّ بعيد، أقوى منظومات التواصل.

3-نموذج شارل ساندرس بيرس

في الوقت نفسه تقريبا الذي كان سوسور حضّر فيه نموذجه للإشارة وللسيميولوجيا، وعلى الجهة الأخرى من الأطلسي كان فيلسوف الذرائعية وعالم المنطق **شارل ساندرس بيرس** C.S Peirce (1914-1939) يقوم بعمل نظري وثيق الصلة بعمل سوسور، ويتقدّم في تحضير نموذجه للإشارة و" للسيميائية " لصنافات الإشارات.المجالات البصري

يعتبر بورس أوّل من حدّد بدقة –من خلال المرتبة الأيقونية للعلامة– مجال الصورة تحت اسم المجال الأيقوني، حيث ساهم في ضبط نظري صارم لعالم تواصلي غير لغوي، اكتسب أهمية لافتة في دراسات المجالات التعبيرية البصرية المختلفة. كالصور الثابتة والسرد المصور والأشكال البصرية المجردة ومجال تصميم الأشكال المختلفة للاستعمالات التقنية، في مجالات الرسم الصناعي، وفنون الديكور، والاتصالات السمعية البصرية، ومجال الحوسبة.

تتخذ السيمياء عند بيرس طابعا شموليا، إذ تتخذ موضوعا لها كلّ شيء، وأيّ شئ مهما كان. يقول بيرس: " لم يكن في مقدوري أبدا دراسة أيّ شيء وأي شئ كيفما كان (رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، اقتصاد، تاريخ، علوم...)، إلا دراسة سيميائية.

وبذلك فالسيمياء البيرسية تقدّم نفسها بصفتها منطقا عاما يستوعب كلّ الظواهر ويسعى إلى صياغة قواعد مجردة وقيم شاملة للتمييز بين الصحيح والخاطيء." إنّ المنطق بمعناه العام– يقول بيرس– هو علم الفكر الذي تجسّده العلامات، إنّه السيمياء العامة ".

أ– الأساس الظاهراتي

وتستند هذه السيمياء البيرسية إلى سياق فلسفي تفسيري مستوحى من **كانط** وهيغل يسمى " نظرية المقولات "، وهي عبارة عن ظاهراتية خاصة، ذات مفاهيم ومصطلحات مخصوصة ومبتكرة، " تدرس العناصر البارزة Phanérons على مستوى الفكر لكي تميّزها طبقاتها وتصنفها ضمن مقولات عامة.

لا يمكن فهم نظرية بورس السيميوطيقية في سعتها، إلا عبر المراحل التطورية الثلاث التي عرفتها:

- مرحلة الاستلهام من الكانطية(1851–1870).
- مرحلة منطقية صرفية (1887–1970).
- مرحلة سيميوطيقية (1887–1914).

في إطار هذه الظاهراتية، ميّز بيرس بين ثلاث مقولات أساسية تعبّر عن ثلاثة أنماط من كينونة العناصر البارزة، وهي على التوالي: "الأولانية " و"الثانيانية" والثالثانية.

– الأولانية: هي " كينونة الإمكان الكيفي الموجب، أي كينونة شيء أولي وسابق لأي تركيب أو توليف. وهو شيء غير موجود لكنّه يحمل في ذاته قدرات وإمكانيات تجعله يوجد أولا يوجد، يتحيّن أو لا يتحيّن. إنّه الشيء الذي يملك كينونته في ذاته، بحيث لا يوجد في الوعي ولا يخضع لأي قانون. إنّ الأولانية إذن هي عالم الممكنات والكيفيات المجرّدة.

ولتيسير فهم " الأولانية "، نعطي مثالا بـ " الخسوف "، قبل أن يقع أوّل مرّة، وقبل أن يعرفه أحد أو يراه أو يتوقعه، فقد كان عبارة عن إمكان كيفي لا نعرف عنه شيئا إلا بعد أن يحدث.

– الثانيانية، فهي مقولة الوجود، أي وجود الأولانية وتحققها في الزمان وفي المكان، ولذلك فهي عالم الموضوعات والوقائع والموجودات (وقوع الخسوف مثلا).

– الثالثانية، فهي مقولة الوعي الذي يتدخل ليربط بين الشيء كإمكان كيفي مجرّد وبين تحققه الفعلي في عالم الموجودات والموضوعات. إنّها الفكر أو القانون الذي يربط بين الأولانية الثانيانية وفق منطق ضروري متجّه نحو الوقائع المستقبلية (رؤية الخسوف ينتج عنها إدراك العلاقة بين كمونه وتجليه، مما يمكن من التنبؤ به).

ب– الأبعاد الثلاثة للعلامة عند بورس

وبشكل مغاير لنموذج سوسر للإشارة المؤلّفة من" ثنائي مكتف بذاته "، يقدّم بيرس نموذجا ثلاثيا (من ثلاثة أجزاء)، معتمدا هذا التصنيف المقولاتي. يراها عبارة عن:

" شيء ما يعوّض – بالنسبة إلى شخص معيّن – شيئا آخر وفق علاقة أو صفة ما"، وبعبارة أخرى، العلامة هي " كلّ شيء يحدّد شيئا ثانيا للإحالة إلى شيء ثالث يحيل عليه الشيء الأوّل وبنفس الطريقة".

فالشيء الأوّل الممثّل Representamen، والشيء الثاني هو الموضوع Objet، والشيء الثالث هو المؤول Interpretant.

فالعلامة عبارة عن " ممثل " مرتبط بـ " موضوعه " من جهة، وبـ " مؤوله " من جهة أخرى، وذلك بطريقة تجعل علاقة هذا الموضوع بذلك المؤول مشابهة لعلاقة الممثل بالموضوع. أي أنّ الممثّل يحدّد الموضوع وينشئ معه علاقة معينة، غير أنّه أيضا – وفي نفس الوقت– يحدّد المؤول ويضع بينه وبين الموضوع علاقة مطابقة (تقريبا) للعلاقة التي بينها هي وبين هذا الموضوع نفسه.

ج– **العلامة كعلاقة**

1–**الممثّل:** الشكل الذي تتخذه العلامة (وهو ليس بالضرورة ماديّا، مع أنّه يعتبر عادة كذلك). ويسمّيه بعض المنظرين " حامل العلامة "..، هو الحامل لأنّه يقدّم نفسه في الغالب داخل خليط من " الممثلات " الأخرى التي تنتمي إلى علامات أخرى في سياقات مختلفة، فنركّز عنها ونعدّها حاملا للعلامة التي نريد دراستها، وهي " الركيزة " لأنّنا نعدّها دالة على موضوع نصل إليه بموجب اعتماده كممثّل.

2– **الموضوع:** فهو كلّ ما يحيل عليه الممثّل، سواء أكان قابلا للإدراك أم قابلا للتخييل أم غير قابل حتى للتخييل (الإحساسات المبهمة مثلا). فالموضوع إذن هو ما يمثّله الممثّل وما يعنيه المؤول.

3– **المؤوّل:** فهو يتوسّط بين الممثّل والموضوع، ويجعل الأوّل يحيل على الثاني. فالعلاقة بينهما (أي بين الممثّل والموضوع) ممكنة إذا نظرنا إليها من زاوية الممثّل، وموجود إذا نظرنا إليه من زاوية الموضوع، ومدرك إذا نظرنا إليه من زاوية المؤوّل.

لا ينبغي أن نخلط بين المؤوّل Interpretant والمؤول Interprète، أي الشخص الشارح، فالمؤوّل ليس هو من يؤول، وإنّما هو علاقة تضيئها الممثّلة في ذهن الشخص الشارح، أي في ذهن المؤوّل.

لا ينظر بيرس إذن إلى العلامة في ثباتها وسكونيتها، وإنّما في حركية عناصرها وعلائقها المولدة للدلالة باستمرار. بل إنّ موضوع سيمياء بيرس في واقع الأمر ليس هو العلامة وإنّما اشتغالها وحركيتها، لذلك يقدّم عليها مفهوم/ مصطلح " السيميوزيس" Semiosis ويعني به "

السيرورة التي تعمل بها العلامة بصفتها علامة". كما يجعل السيمياء هي " نظرية الطبيعة الجوهرية لكلّ سيميوزيس ممكن".

إنّ ثلاثية عناصر العلامة، ومفهوم السيميوزيس الذي يسمح بالنظر إلى كلّ عنصر من هذه العناصر بصفته علامة لها بدورها ممثلتها وموضوعها ومؤولها. كلّ ذلك لا يسمح بتمييز تسعة أنماط من العلامات مقسمة ثلاث تقسيمات بحسب مستويات ثلاثة:

1- المستوى التركيبي، حيث يتّم النظر إلى " الممثّل " بصفته علامة في حدّ ذاته، له ممثّله الخاص وموضوعه ومؤوله الخاصين. ففي علاقته بذاته (أي بممثّله الخاص) هو عبارة عن "علامة كيفية" Qualisigne، وفي علاقته بموضوعه هو " علامة مفردة " Sinsigne، وفي علاقته بمؤوله هو " علامة قانون " Lesigne.

2- المستوى الدلالي، حيث يتّم النظر إلى " الموضوع " بصفته علامة ثلاثية أيضا: ففي علاقتها بممثلها تكون " أيقونة " Icone، وفي علاقتها بذاتها تكون" أمارة " Indice، وفي علاقتها بمؤولها تكون رمزا symbole.

3- المستوى التداولي، حيث يتّم النظر إلى المؤوّل كعلامة، فتكون في علاقة بمؤولها أو بموضوعها أو بذاتها، إمّا " خبرا" Rhème أو " مقولة " Dicisigne أو " دليلا " Argument.

لقد تميّز عمل بيرس بقدرة كبيرة على التجريد والتصنيف، الشيء الذي مكنّه من تحصيل سبعة وعشرين نوعا من العلاقات يطغى في كلّ نوع منها نمط من الأنماط التسعة المذكورة. غير أنّنا نكتفي بذكر هذه الأنماط التسعة، تبعا لمستويات التحليل وفروع السيمياء كما حدّدها بيرس.

فروع السيمياء	مستويات التحليل	مكونات العلامة(كلّ مكوّن هو بدوره علامة	أنماط العلامة
النحو الخالص	المستوى التركيبي	الممثّل representament	علامة كيفية علامة مفردة علامة قانون
المنطق	المستوى الدلالي	الموضوع objet	علامة أيقونية علامة أمارية علامة رمزية
البلاغة	المستوى التداولي	المؤول interprètant	علامة خبرية علامة مقولة علامة دليلية